أكاديمية الدراسات الفكرية والتربوية
Academy of Intellectual and Educational Studies
+212 629150200
iesacademy.org
iesacademy40@gmail.com

مقال علمي
10/02/2023

الحوار الديني المعاصر بين المقومات الدينية والحضارية
(الاعتراف بالتعددية والمشترك الإنساني)

د. حنان خياطي:
أستاذة التعليم العالي مساعد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة /المغرب.
باحثة في الفكر الإسلامي، مختبر دراسات الفكر والمجتمع

الملخص:

عالم تحتدم فيه النزاعات على خلفية تضارب المصالح السياسية والاقتصادية، وتتفاقم فيه نزوعات الهيمنة والاستعلاء مع توافر إمكانات تأسيس مشتركات يتحول معها العالم إلى جنة للنوع الإنساني، تغذي هذه النزاعات مرجعيات فلسفية فاسدة، مناقضة لمرجعيات الأديان، هذا وغيره يبرز احتياجات الناس للكتابة والتوجيه إلى باب مغلق هو باب الحوار، لا شك أن زحزحته في أفق حله يبقى ذا أهمية كبيرة بما يكفي لتشتغل البحوث الاكاديمية عليه بكل ما أوتيت من قوة معرفية ومنهجية.

والحوار عموما من مميزات البشر ضرورة وأضحى اليوم من روح العصر وإحدى ظواهره الهامة، وبالتالي فإن كتابتنا عن الحوار في بعده الحضاري، إنما محاولة في نظم المتناثر، واقعا من ضرورات إنسانية الإنسان، ذلك جوهر بحثنا وماهيته.

الملخص:

عالم تحتدم فيه النزاعات على خلفية تضارب المصالح السياسية والاقتصادية، وتتفاقم فيه نزوعات الهيمنة والاستعلاء مع توافر إمكانات تأسيس مشتركات يتحول معها العالم إلى جنة للنوع الإنساني، تغذي هذه النزاعات مرجعيات فلسفية فاسدة، مناقضة لمرجعيات الأديان، هذا وغيره يبرز احتياجات الناس للكتابة والتوجيه إلى باب مغلق هو باب الحوار، لا شك أن زحزحته في أفق حله يبقى ذا أهمية كبيرة بما يكفي لتشتغل البحوث الاكاديمية عليه بكل ما اوتيت من قوة معرفية ومنهجية.

والحوار عموما من مميزات البشر ضرورة وأضحى اليوم من روح العصر وإحدى ظواهره الهامة، وبالتالي فإن كتابتنا عن الحوار في بعده الحضاري، إنما محاولة في نظم المتناثر، واقعا من ضرورات إنسانية الإنسان، ذلك جوهر بحثنا وماهيته.

الكلمات المفتاحية: الحوار، الأديان، قيم التعايش، المشترك الإنساني.

Abstract:

A world full of conflicts and disputes, with the possibilities of establishing joint projects with which the world turns into a paradise for the human race. These disagreements and disputes are nourished by corrupt philosophical references that are contradictory with references to religions. Its solution remains of great enough importance for academic research to act upon it with all the power of knowledge and methodology at its disposal.

Dialogue in general is one of the characteristics of man, and a necessity in the sense that man is a conversational being, and this is a branch of his civilization. Therefore, our writing on dialogue in its civilized dimension is an attempt at dispersed systems, a reality of human necessities. This is the essence and essence of our research.

Keywords: Dialogue, religions, values of coexistence, commonalities between humans.

المقدمة:

يعد موضوع الحوار مع أتباع الأديان من أهم المواضيع التي تعالجها الدراسات الأكاديمية في الوقت الراهن في شتى الحقول العلمية، لما له من أهمية في استقرار البلدان والأوطان. ولا شك ان موضوع الحوار في الدراسات العقدية الدينية يتعين مفهومه ومدلوله حسب مرجعية كل دين.

وعليه فإن الإشكالية المختارة للموضوع هي:

-كيف أصل القرآن الكريم للتعايش مع أتباع الأديان وكيف فعل النبي -ﷺ -ذلك التأصيل؟

ويتفرع عنها جملة من التساؤلات التي يحاول البحث الإجابة عنها، وهي:

-ما هو التأصيل المصطلحي للحوار الديني؟

-ماهي الأسس والمبادئ التي يقوم عليها الحوار مع أتباع الأديان في القرآن والسنة النبوية؟

-إذا كانت هذه الأسس الحوارية مقررة شرعا فهل هي مقررة ومقبولة عقلا وقانونا؟

-ما هي آليات الحوار مع أتباع الأديان في القرآن والسنة؟ وماهي الأشياء التي توسلها الإسلام لبلوغ دائرة الآخر واستيعابه وجعله جزءا من الهوية والذات؟

- ماهي متطلبات الحوار الديني المعاصر كرافعة للتدافع الإنساني المشترك؟

وقبل ان نعالج هذا البحث لا بد من التأكيد والتنويه على أن هذه الأسس والآليات الحوارية في القرآن والسنة النبوية ليست وليدة الأحداث الراهنة، بل هي أصول وحقائق تمثل ماهية الإسلام في التعامل مع المخالفين لا يغيرها اختلاف الأزمان ولا تحول الأوطان، ولا حالة المسلمين في سلمهم وحربهم، ولا يفرضها زخم الضغوطات والواقع المعيش. كما لا يفوتنا في هذا المقام التأكيد على أن الحوار لا يعني التنازل عن الثوابت والمبادئ الدينية للمتحاورين، إذ يمكن تحقيق الحوار مع احتفاظ الكل بما يحملونه من فكر وعقائد.

أهمية البحث:

تبقى غاية البحث عن مساحة مشتركة بين أتباع الأديان والحضارات والثقافات على اختلافها للعيش السلمي المشترك بعيدا عن أي عنف سواء كان ماديا أو معنويا، من هنا جاءت ضرورة بحث سبل إرجاع

الإنسانية إلى إنسانيتها وفتح سبل الحوار والتواصل الحضاري بالدين نفسه وليس من خلال النظريات الجاهزة التي قد لا تنسجم مع الواقع الديني للمجتمعات.

دواعي البحث في الموضوع:

ما يشهده عالمنا اليوم من تغيرات عميقة وسريعة وما يتهدده من أزمات مركبة ومتداخلة، يجعلنا في

أمس الحاجة إلى حوار ديني وثقافي وحضاري وقيمي يعيد النظر في القضايا الشائكة والأزمات المستفحلة، ويسمو إلى نزع فتائل التوتر والعنف، ويبقى ضرورة حتمية ترقى إلى مقام الواجب الأخلاقي والفكري والإنساني لتحقيق التعايش بين المجتمعات.

خطة البحث:

لإبراز أسس وآليات الحوار الديني مع أتباع الأديان في الإسلام من خلال مصدريه القرآن والسنة، وبيان أبعادها الحضارية وسبل الاستفادة منها في واقعنا المعيش، **نقترح البناء الهيكلي في الخطة الآتية:**

- مبحث تمهيدي: في التحديد المصطلحي للحوار الديني في الفكر الإسلامي:
- المبحث الأول: التأصيل المرجعي والمنهجي للحوار الديني في الفكر الإسلامي
- المبحث الثاني: آليات الحوار والتواصل الحضاري المشترك وفق المنهجية الإسلامية
- المبحث الثالث: متطلبات الحوار الديني المعاصر كرافعة للتدافع الإنساني المشترك
- المبحث الخامس: تفعيل الحوار الديني المعاصر من الأساس النظري إلى التطبيقي
- الخاتمة

مبحث تمهيدي: تأسيس تأصيلي للمنطلقات: (التحديد المصطلحي للحوار الديني).

أولا: في بنية الحوار:

1-الحوار في اللغة:

يشير التعريف اللغوي للجذر "حَورَ" إلى دلالاتٍ عدة، منها: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وهي دلالة تقترب من دلالة لفظة "حوار" التي تدل على: التحادث والتجاوب القولي، فالمحاورة: المجاوبة، واستحاره: استنطقه [1]، والمحاورة: حسن الحوار ومنها أيضاً: كلَّمتُه فما ردَّ على محورةٍ (أي كلام)[2] ، فهي تعطي في طياتها دلالة خلقية تتعلق بكيفية الحوار وأدبه، وهذا صحيح فالحوار يستلزم طرفين أو أكثر، ولا يتم إلا في جو أدبي يتيح السمع والقول بين المتحاورين. وتتسع دلالة الحوار معجميا فتكون بمعنى: جادله[3]، والجدال يعطي فرصة للقول والمراجعة بين المتحاورين.

ومن هنا فإن دلالة الجذر اللغوي "حور" بمعنى الرجوع، تتفق كثيراً مع دلالة الحوار، وإن كانت الأولى أعمّ وأشمل للأشياء والبشر، أما الثانية فهي تقتصر على الحوار بين البشر غالبا، فالرجوع عن الشيء وإلى الشيء، يدخل ضمن معطيات الحوار، فالحوار يعطي الفرصة لتعديل الرأي والرجوع عن مواقف وأمور، وهذا ما أشارت إليه المعاجم اللغوية فـ "حوّر الكلام أي غيّره"[4] والتغيير يكون تبعا لمستجدات في العقل أو الحياة أو الأشياء وهذا يعني الرجوع أيضاً.

وأيضاً "والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام " [5]، وأيضًا " ما أحار جوابا أي ما رجع " [6]، وكذلك: " تحاوروا تراجعوا الكلام بينهم "[7]، وأيضًا ومن معاني الجذر اللغوي "

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، إعداد: يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار صادر، ودار لسان العرب، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ، ج1، ص750.

[2]- الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ، ص98.

[3]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، ط3، دون تاريخ، ج1، ص212

[4]- المصدر نفسه، ص212.

[5]- لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص750. وجاء في دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1971م، مج3، ص647 " تحاور الناس: تراجعوا الكلام وتداولوه

[6]- أساس البلاغة، مرجع سابق، ص98.

[7]- المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص212.

حور " ما يفيد الحيرة من " حار " بدلالة " لم يهتد لسبيله، فهو حيران وحائر وهي حيراء "[1] فهو يعطي دلالة مناقضة فليس كل حوار يأتي بالجديد، فقد يزيد المرء ضلالا.

والحوار حقيقة مجتمعية إنسانية، فأينما وجد المجتمع البشري، وجد الحوار، لأن اللغة قاسم مشترك بين البشر، ومن وظائف اللغة التعبير عن حاجات الإنسان، البسيطة المتصلة بحاجاته الإنسانية من طعام وشراب وغيرهما، أو في المستويات العليا من النقاش الفكري والديني والاجتماعي. فالحوار " حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات... ويفترض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس "[2]ومن هنا، انتقل الحوار إلى ما ينتجه العقل البشري من آداب وحكمة ونصوص[3]، ذلك أن الأدب صورة وانعكاس بشكل مباشر أو غير مباشر من النشاط الإنساني العقلي واللغوي والاجتماعي يكاد يكون الحوار قاسما مشتركا بين سائر الأشكال الأدبية مثل: المسرحية والقصة والرواية والمناظرة والمناصحة والحكمة والعظة وأيضا في الشعر فهناك الكثير من القصائد التي تشمل الشكل القصصي الحواري، وهناك حوار شعري يكون بين الشعراء أنفسهم.

2-الحوار في الاصطلاح:

استخدام مصطلح الحوار وتداوله في الأدبيات المعاصرة لم يبتعد كثيرًا عن مفهومه اللغوي، فيرى البعض ان : "الحوار هو المراجعة في الكلام، أو الأخذ والرد بين شخصين أو طرفين، لكل منهما مفاهيمه أو أفكاره أو آراؤه أو مقترحاته، وتجاذب أطراف الحديث بين شخصين أو أكثر يُهدف منه الوصول إلى لغة مشتركة ومفاهيم متقاربة وتشخيص موحد، إن أمكن، للأشياء كلها، وللمشكلات كافة"[4] وفي تعريف آخر: الحوار نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر

---

[1]- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1416هـ، 1996م، ص488.

[2]- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م، ص 100.

[3]- كذلك يمكن أن يكون الحوار بين الأديب (منشىء النص) ونفسه، أو من ينزله مقام نفسه مثل ملهمه أو شخصية خيالية، وعموما فإن الحوار أسلوب طاغ وشائع في المسرحيات والروايات وغيرها. المرجع السابق، ص100.

4- أسعد السحمراني، الإسلام والآخر، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط 1، 2016م، ص 17-18.

أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب [1]، وعند البعض: أن الحوار هو الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا يقصد به الخصومة.[2]

ويقول الدكتور يحيى زمزمي:" الحوار هو أن يتناول الحديثَ طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكوّن لنفسه موقفًا"[3].

وفي مؤلف آخر له عرَّف الحوار بأنه: "عملية تبادل الأفكار والآراء بين محاورين اثنين أو أكثر لغرض بيان حقيقة مؤكدة أو رأي معين، قد يتقبله الآخر وقد يرفضه.[4]

من هذه التعريفات يمكن تحديد مفهوم الحوار بأنه:

"تبادل الآراء والأفكار حول موضوع معين، بين طرفين أو أكثر - بطريقة متكافئة - بعيدًا عن التعصب؛ للتوصل إلى مفاهيم مشتركة أو متقاربة".

ثانيا: في بنية الدين:

1-الدين في اللغة:

لفظ الدين يطلق في اللغة العربية على معان متعددة: فيطلق تارة ويراد منه الجزاء، ومنه قوله تعالى : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] أي يوم الجزاء، وهو يوم القيامة. ويطلق تارة ثانية ويراد منه الحكم والسلطان، ومنه قوله تعالى :﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: 76] أي في حكمه وسلطانه. ويطلق ثالثة ويراد منه العادة والشأن، ومنه قول الشاعر:

تقول وقد درأت لها وضيني... أهذا دينه أبدا وديني؟

أي شأنه وشأني.

ويطلق رابعة ويراد منه الطاعة والانقياد، يقال: دان له دينا وديانة: أي خضع، وذل، وأطاع.

1- يحيى زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة، دار التربية والثرات، رمادي للنشر، الدمام، ط1، 141هـ/1994م، ص 6.

2- أحمد بن عبد الرحمان الصويان، الحوار أصوله وآدابه السلوكية، دار الوطن، الرياض، ط 1 ،1413هـ، ص 17.

3- عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، دار الفكر المعاصر، دمشق: 1420هـ / 2000م، ص 206.

4- عبد القادر الشيخلي، هندسة الحوار، مركز الملك عبد العزيز، الرياض، ط1، 1432هـ، ص 15.

ويطلق خامسة ويراد منه ما يتدين به الإنسان، يقال: دان بكذا، أي اتخذه دينا وتعبد به [1].

2-الدين في الاصطلاح:

أما الدين في نظر علماء الأديان، فقد عرفه بعضهم بأنه: "وضع إلهي سائق لذوي العقول - باختيارهم إياه - إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل، وهذا يشمل العقائد والأعمال.[2]

ومعنى هذا، أن لفظ الدين عند هؤلاء، لا يتناول إلا الأديان السماوية: كاليهودية والمسيحية والإسلام، أما غيرها من الأديان التي اصطلح عليها بعض الناس دون أن يكون لها صلة بالسماء، فليست دينا في نظرهم.

ويرى فريق آخر من العلماء :أن الدين هو " عبارة عن الإيمان والعبادة مهما كانا، فإيمان الوثنيين دين. أو هو عبارة عن الإيمان بقوة أو قوات سائدة تحكم الأرض، وعن عبادة تلك القوة أو القوات، فيقال: دين حق، ودين باطل.[3] "

ومعنى هذا:" أن الدين عند هؤلاء يشمل الأديان السماوية وغيرها من الأديان التي هي من صنع البشر، ولا تمت إلى الله بسبب، وقد يشهد لهذا، أن الله سمى الديانات غير الحقة دينا فقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، وقال: فيما أمر به نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- أن يقوله لكفار قريش: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]. والواقع أنه لا خلاف بين الفريقين: فالفريق الأول نظر نظرة خاصة، والفريق الثاني نظر نظرة عامة، ونحن في بحثنا عن الدين والتدين كظاهرة اجتماعية لا نقصد المعنى الخاص، لا موسعًا بحيث يشمل الأديان السماوية كلها، ولا مضيقًا بحيث يقتصر على الإسلام وحده، وإنما نقصد المعنى العام الذي يشمل الأديان كلها: سماويها وأرضيها.

---

[1] -لسان العرب، مرجع سابق، ج 4، ص 448-450.

[2] -محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم، تحقيق: علي دحروج، تقديم ومراجعة: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1 ،1996م، ص 814-815.

[3] -محمد حسين الذهبي، الدين والتدين، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، العدد 1 ،1395هـ، ص 49.

ثالثا: في دلالات المركب "الحوار الديني ":

إنه من المهم دائما توضيح مضامين المفاهيم وتحديد المصطلحات قبل الخوض في الحديث عن أي موضوع ما، وذلك لتجنب التداخل بين المفاهيم والاضطراب في إدراك القضايا المتشابهة والمسائل المتقاربة، خصوصا عندما تُستخدم تلك المفاهيم في ساحة الحوار المشترك، فيكون لكل محاور تصوره الذي ينطلق منه في تضمين معاني لمصطلح ما أو لقضية ما لا تطابق مع لدى غيره من فهم لنفس المصطلح أو القضية.

إن الذي نقصده بالحوار الديني هو تحقيق التعارف والتواصل بين المنتسبين للأديان، بحيث يعرض كل صاحب دين معتقداته ومفاهيمه وفقا لما هو مستقر عنده في دينه، إذ أن الحوار مع الآخر لا يمكن أن يكون مُجديا إذا كنا نريد من الآخر أن يكون على الصورة التي نحددها له سلفاً.

يمكن لكل إنسان أن يدرس الأديان الأخرى وأن يتعرف عليها، وأن تكون له تصورات عنها ومواقف من عقائدها ومبادئها، ولكن ذلك لا يُغنيه عن الوقوف على فهم الآخر لدينه كما هو يعرضه، بل إن من أهداف الحوار الديني تصحيح بعض المفاهيم ورفع الالتباس حولها، وإن ظل الخلاف قائما حول القضايا المختلف فيها.

إن الحوار بين الأديان ليس غرضه إجبار الآخر على التخلي عن دينه، أو إلزامه باعتناق صورة معينة لدينه لا يرتضيها، وإنما التعارف معه من أجل تدعيم المشترك واحترام الاختلاف لتحقيق التعايش والتعاون..

وفي إطار هذا التصور للحوار بين الأديان لا يمكن أن نقرّ ما قد يدعو له البعض من وحدة الأديان، بمعنى جمع الأديان على مبادئ موحدة وإلغاء ما بينها من فروق واختلافات، وفكرة توحيد الأديان لا تجد ترحيبا من كل الديانات القائمة، لأنه لا يوجد أتباع دين واحد يقبلون بالتخلي عن شيء من معتقداتهم من أجل التقارب مع غيرهم.

إن سنة الله تعالى اقتضت أن يكون بين البشر تنوع واختلاف في ألسنتهم وألوانهم وثقافاتهم ومعتقداتهم، قال تعالى: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم} [هود: 118،119].

إن من مستلزمات الحوار الديني الناجح أن يُحَدّد المقصود منه حتى ينطلق على بيّنة ووضوح مشترك ويبتعد بالتالي عن الوقوع في مطبّات قد تؤدي به إلى الانحراف عن الطريق المرسوم له.

المبحث الأول: في التأصيل المرجعي والمنهجي للحوار الديني في الفكر الإسلامي:

أولا: نطاق التأصيل القرآني للحوار الديني:

1-النطاق النظري:

لم تَرِد كلمة (حوار) في القرآن الكريم إلا في آيات ثلاث، جاءت اثنتان منها في سورة الكهف في معرض الحديث عن قصة صاحب الجنتين وحواره مع صاحبه الذي لا يملك مالًا كثيرًا، فقال تعالى عنهما في الموضع الأول: {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} [الكهف: 34]، وقال تعالى عنهما في نفس السورة: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا} [الكهف: 37].

أما الآية الثالثة التي وردت فيها كلمة (حوار) فهي من سورة المجادلة، في قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة: 1].

إلا أنّ الحوار باعتباره وسيلة تواصلية أوسع منْ حصْره في هذه الكلمة، فقد جاء التعبير عنه بمفردات أخرى قريبة منه من أهمها (الجدل) التي وردت في تسعة وعشرين موضعًا، منها:

1- {وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا} [النساء: 107].

2- {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا} [النساء: 109].

3- {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأنعام: 25].

4- {وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام: 121].

5- {قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ} [الأعراف: 71].

ثم إنّ الحوار في القرآن لا يمكن حصر مساحته في الآيات التي تتضمن مادة (حوار أو جدل) أو ما في حكمهما، بل نعتبر كلّ المواد الحوارية الواردة في القرآن الكريم شاهدة لهذا الموضوع؛ من ذلك -مثلًا- قوله تعالى لموسى: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[طه: 43، 44]، فقد أورد ابن كثير أقوالًا عديدة في بيان المراد بالقول اللين ثم لخّص ذلك بقوله: «والحاصل من أقوالهم أنّ دعوتهما له تكون بكلامٍ رقيقٍ ليّن سهل رفيق؛ ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، كما قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[النحل: 125]، ويمكن اعتبار: {بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} أوجز صيغة دالة على المنهج الذي يدعو القرآن الكريم أتْبَاعَه إلى التزامه في الحوار مع القريب والبعيد؛ فقوله تعالى: {بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} تشمل المنهج والمضمون والزمان والمكان وكلّ العناصر المتداخلة في عملية الحوار،

وقال تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 136].

إنه تأسيس لأرضية مشتركة، وبحث عن المشترك الذي يجعل إمكانية اللقاء المطلوبة واردة وممكنة، ولعلّ أصرح آية في الدعوة إلى الانطلاق من موطن اللقاء، قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64].

2. النطاق التطبيقي / التأصيل القرآني :

انتقل بنا القرآن الكريم من المستوى النظري في الاعتراف بالآخر إلى المستوى التطبيقي العملي، ليعلمنا أن مفهوم الحوار في الإسلام له معايير وضوابط وأصول ينبغي الالتزام بقواعدها للتحاور مع المخالف وفتح العلاقة معه. وقد وردت صور متعددة لهذا التوجيه الرباني عبر قصص الانبياء وفي تاريخ الدعوة الإسلامية، كما وردت في السنة النبوية العديد من التوجيهات والتعاليم النبوية التي ركزت مبادئ الحرية وأسست للمنهج التربوي الأخلاقي الذي سار عليه الصحابة الكرام[1].

يقول المولى عز وجل: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقل اشهدوا بأننا مسلمون}، فنص الآية واضح في أمر المسلمين بالمبادرة إلى دعوة الآخر المخالف عقدياً إلى مائدة الحوار للبحث والمدارسة،كما علّم أنبيائه وأرشدهم إلى أفضل السبل وأنجح الطرق لإدارة الحوار النافع المثمر، الذي يرتفع بمستوى التفكير إلى نور المعرفة واليقين، فيتبين الحق ويتضح الرشد. قال تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن} [النحل :125]، ومثاله ما أمر الله تعالى به موسى وهارون عليهما السلام في مخاطبة فرعون وهو جبار طاغية بقوله تعالى: {اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى} [طه:43،44].

[1]-مريم آيت أحمد، جدلية الحوار، قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط1 ،2011 م، ص 29.

إن الحوار كما أصّل لضوابطه القرآن الكريم في المستوى التطبيقي، هو استعداد نفسي لقبول الآخر ومعرفة ما عنده، والسماع له والقدرة على إقناعه بالتي هي أحسن، لذلك ركز على الدعوة لتجنب الانفعال، والتعالي والتعصب والغلو، مراعاة للخصوصيات النفسية والمميزات الذاتية لكل طرف، وفي ذلك قال تعالى: {ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم} [فصلت:34،35]،وقوله تعالى: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم}[الأنعام :108]. قال العلماء في هذه الآية: حكمها باق في هذه الأمة، ولذلك قالوا: لا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم، ولا كنائسهم ولا رهبانهم، وعلى ألا يتعرض لما يؤدي إلى ذلك. وبذلك يتضح كما ذكر القرطبي أن في هذه الآية ضرباً من ضروب الموادعة والملاينة، وأن فيها دليلاً على وجوب الحكم بسد الذرائع، ودليل على أن المحق يكون على حق ما لم يؤد موقفه إلى ضرر في الدين[1].

هكذا سنَّ الله تعالى لعباده أصول وآداب التعامل مع المخالف، ولم ينكر عليه حق التعامل بالأسلوب الأمثل في محاورته أو دعوته أو مناظرته وجداله، ولذلك لا يمكن الحديث اليوم عن حوار مثمر وفعال مع الآخر بمعناه الإسلامي في غياب الالتزام بآداب الدعوة الوسطية الإسلامية التي أسسها القرآن الكريم على قاعدة منهج الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى.

لقد بلغ الإسلام على درب العدالة الموضوعية والانصاف الحد الذي جعله يقبل بمحاورة الآخر الذي ينكر الإسلام ويجحده ويكفر بمقوماته. وفي هذا السياق يمكن القول إن اعتراف الإسلام غير المسبوق وغير الملحوق بالآخر لم يكن مجرد اعتراف نظري، وإنما تحول هذا الاعتراف النظري إلى تفعيل واقعي ضبطت شروطه وحددت آدابه في القرآن الكريم، واعتمدها رسولنا الكريم في سلوكه العملي مع المخالفين، وجسدتها صفحات تاريخنا الحضاري.

[1]-محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ،1427هـ-2006م، ج 8ص 47.

المبحث الثالث: آليات الحواروالتواصل الحضاري المشترك وفق المنهجية الإسلامية:

يقصد بآليات الحوار تلك القواعد الكلية التي من خلالها يمكن معرفة كيفية بناء الحوار الديني مع الآخر، إذ يضع النص القرآني ركائز أساسية يقوم عليها الحوار، وقد اختزل النص القرآني تلك الأسس في قوله تعالى: {وجادلهم بالتي هي أحسن}. [النحل: 125] وتفصيلها فيما يأتي:

1-احترام الكرامة الإنسانية:

ويتسم المفهوم الإسلامي للكرامة الإنسانية بخاصيتي الشمول والعموم، فيكتسب بذلك عمقاً ورحابةً وامتداداً في الزمان والمكان. ولعل من دقائق المعاني التي ينبغي أن نفطن بها ونتنبه لها، أن آية التكريم من سورة الإسراء جاءت في صيغة العموم، فالآية تشير إلى تكريم الله لبني آدم، وليس لجماعة المؤمنين، أو لفئة دون غيرها من الناس، فالتكريم هنا، هو تكريم مطلق المعنى يشمل البشر كافة، وينسحب هذا المعنى إلى الماضي والحاضر والمستقبل، ويمتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فمن خلال المنظور الإسلامي، فإن الإنسان مكرم، بصرف النظر عن أصله وفصله، ودينه وعقيدته، ومركزه وقيمته في الهيئة الاجتماعية، إن الله خلقه مكرّماً، ولا يملك أحدٌ أن يجرده من كرامته التي أودعها في جبلَّته وجعلها من فطرته وطبيعته، يستوي في ذلك المسلم الذي يؤمن بالقرآن كتاب الله وبمحمد ابن عبد الله رسول الله ونبيه، وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى، أو من لا دين له. فالكرامة البشرية حقٌّ مشاعٌ يتمتع به الجميع من دون استثناء[1]. وتلك ذروة التكريم وقمة التشريف. يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ، واحِدَةٍ، وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء :1].

2- وحدة الأديان:

يُرجع الإسلام الأديان السماوية كلها إلى أصل واحد وهو الوحي الإلهي ، وأن شرائع الله تعالى قد انبثقت من مشكاة نور واحد ، ولذلك يدعو الإسلام أتباعه إلى الإيمان بجميع الأنبياء والرسل السابقين ، والكتب السماوية ، والكتب المنزلة السابقة ، فقال تعالى : {آمن الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} البقرة الآية:285، وقال تعالى : {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق

[1]-محمد علوشيش الورتلاني، أحكام التعامل مع غير المسلمين والاستعانة بهم (دراسة فقهية مقارنة)، ط1، دار التنوير ،2004م، ص11 بتصرف.

ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون } [ال عمران :84].

ويبين الله تعالى بأنه شرع لهذه الأمة كل الشرائع الأساسية التي شرعها على بقية الأنبياء {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما أوحينا به إلى إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه} [الشورى :13].

وقد ذم الله تعالى الذين فرقوا دينهم فقال تعالى: {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء} [الأنعام: 159].

بل إن القرآن الكريم يدعو اتباعه إلى اتباع سنن المرسلين فقال تعالى: {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده} [الأنعام :90].

وأكثر من ذلك فإن القرآن الكريم جعل لفظ الإسلام اسماً مشتركاً لجميع الأديان وعلى ألسنة أكثر الأنبياء فيقول في شأن إبراهيم: {إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين} [البقرة :131]، وقال في شأن يعقوب: {إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون} [البقرة: 133]، ويقول تعالى: {إن الدين عند الله الإسلام} [ال العمران :19]

ونتج عن ذلك:

1 .الاعتراف بالأديان السماوية الحقة، وبجميع الرسل والأنبياء الذين ذكرهم القرآن أو الذين لم يذكرهم، وفسح المجال لأصحاب الأديان أن يعيشوا في ظل الإسلام.

2 . التعامل مع غير المسلمين بالتسامح دون الإكراه والاعتداء فقال تعالى {لا إكراه في الدين} [البقرة : 256] وقال تعالى : {فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر} [الغاشية : 22]، وقال تعالى محدداً وظيفة الرسول ﷺ {ما على الرسول إلاّ البلاغ} [النور : 54]،وقال تعالى :{فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير} [الشورى : 15] وقال تعالى : {لكم دينكم ولي ديني} [الكافرون :6]، وقد أكد الله تعالى هذه المعاني في الآيات التي نزلت بالمدينة مثل قوله تعالى : {وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد} [الغاشية :22-23].

ومن الناحية العملية كانت وثيقة المدينة التي تعتبر بمثابة دستور يحكم أهل المدينة الذين كانوا مختلفين من حيث الدين (الإسلام والشرك واليهودية) ومن حيث الجنس (القحطانيون والعدنانيون واليهود) حيث سوّت بين الجميع في الحقوق العامة والواجبات من حسن الجوار والتناصر وما يسمى في عصرنا الحاضر بحقوق المواطنة

3- الاعتراف بالاختلاف والتنوع:

من واقعية الإسلام اعترافه بالاختلاف في العقائد والأفكار والألوان والأطياف، على الرغم من انه ينشد وحدة الأمة ويريد لهم الخير كله، حيث يقول القرآن الكريم: {كان الناس أمة واحدة} [البقرة :213]، أي بعد ذلك اختلفوا {فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه} ا[لبقرة :213] ،وبعد أن ذكر الله تعالى اليهود والنصارى واختلافهم قال: {ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات} [المائدة :48].

وقد أكد القرآن الكريم أن الاختلاف أحد المقاصد المعتبرة للابتلاء، فقال تعالى: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم} [هود :118].

وهذه الآيات الكثيرة ومثلها من الأحاديث النبوية تهيئ نفوس المسلمين لقبول الآخرين المختلفين معهم عقدياً وفكرياً وأصولياً وفرعياً، والتعايش معهم بأمن وأمان، وهذا ما حدث طوال التأريخ الإسلامي، حيث عاش غير المسلمين في أكتاف الدولة الإسلامية القوية، وهم يتمتعون بكامل حقوقهم بل تقلدوا مناصب رفيعة في ظلها.

4-الدفاع بدل الصراع هو الأصل في التعامل:

ولم يستعمل القرآن الكريم لفظ الصراع ، وإنما استعمل لفظ الدفع والدفاع والمدافعة بدل الصراع[1]، فقال تعالى : {إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور} [الحج :38]،وقال تعالى : {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض } [البقرة :251]وقال تعالى : {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد} [الحج :40] ، حيث تدل هذه الآيات على سنة التدافع ، وانها من سنن الله تعالى حيث يدفع الظالمين ولكنها لا تدل على تأصيل فكرة الصراع في قلوب

[1]-محمد أبو القاسم حاج محمد، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة: العالمية الإسلامية الثانية، دار الهادي للطباعة، مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد، ط1، 1425هـ /2004م، ص 112.

المسلمين بأن يتخذوا الصراع منهجاً في تعاملهم ، كما هو الحال بالنسبة لسنة الخلاف والاختلاف فهي سنة ، ومع ذلك لا ينبغي للمسلمين أن يتخذوه منهجاً لهم في التعامل .

وإنما الذي أكد عليه القرآن في كيفية التعامل مع المخالفين هو منهج الدفع بالتي هي أحسن فقال تعالى في سورة المؤمنون: {ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون} [المؤمنون :96]، وفي سورة فصلت: {ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقا الله إلاّ الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم} [فصلت :34-35].

فقد دلت هذه الآيات أن الواجب على الرسول ﷺ ومن يقتدي به من الدعاة أن يقابل سيئة الكفرة والمنافقين والفسقة بالحسنة سواء كان في نطاق الأقوال حيث يقابل الأقوال حيث القول السيء بالقول الطيب، او في مجال الأعمال والتصرفات حيث يقابل ذلك بالأعمال الصالحة والتصرفات النافعة الطيبة فقال تعالى في وصف عباد الرحمن {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما} [الفرقان :63].

المبحث الرابع: متطلبات الحوار الديني المعاصر، وعي المشترك الدينيّ (الأخلاقيّ والإنسانيّ والقِيميّ...):

لم تعد الغاية من الحوار الديني إثبات أحد أطراف الحوار على حق والآخر على باطل، بقدر ما أصبحت غايته البحث عن مساحة مشتركة بين أتباع الأديان على اختلافها للعيش السلمي المشترك بعيدا عن أي عنف سواء كان ماديا أو معنويا، من هنا جاءت ضرورة بحث سبل ارجاع الإنسانية إلى انسانيتها بالدين نفسه، وليس من خلال النظريات الجاهزة التي قد لا تنسجم مع الواقع الديني للمجتمعات.

الأديان عموما بحكم النص والعقل تجعل الحوار هو السبيل الأمثل تجعل الحوار هو السبيل الأمثل لبقاء المجتمعات بعيدة عن دائرة الصراع، ولكن الحوار هو الآخر قد يصطدم بمجموعة من المعوقات منها دينية وأخرى اجتماعية وتارة سياسية، وقد تجتمع كلها مع بعضها فتشكل حاجزا أمام إنجاح أي عملية حوار من أجل السلام بين ال "الأنا والآخر".

إلا أن المعوقات الدينية لها التأثير الأكبر على المعوقات الأخرى، لأن التطبيق الديني إذا كان صحيحا فإن المعوقات الاجتماعية ستضمحل وستؤثر بنحو أو بآخر على المعوق السياسي، أما إذا كان تطبيقه خاطئا سينتج عنه تفكك اجتماعي يوظف توظيفا سياسيا لتحقيق مصالح استغلالية باسم الدين.

ولذلك سيكون البحث عن المتطلبات الدينية للحوار الديني بشكل لا يبقى معه أي حاجز أو معوق قد يسهم في ارباك عملية الحوار او تعطيلها، بما يأتي:

1-حوار من عمق الكتاب والسنة:

أي حوار يلتزم بالعقيدة الإلهية وبالتقليد وبالتراث الديني ،وبتسليم الأمانة من جيل إلى جيل في تواصل منتظم والارتكاز على مقوماته الأساسية خاصة القرآن الكريم والسنة النبوية لقوله تعالى :{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[ال عمران : 103] ،وفي الحديث النبوي الشريف: (تركتُ فيكم أيُّها الناس، ما إنِ اعتصمتم به، فلن تضلُّوا أبدًا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه)[1].وتكون مرجعيته خالق الكون وتعاليم الأنبياء والكتب السماوية ،"وتتناقل هذا الإيمان الأجيال لتطبعه بطابعها الخاص وفهمها ،وبتعبير متجدّد منها لا يخالف الجوهر والأصل ،ولا يردد النصوص الإلهية بطريقة جامدة نمطية بدون فهم أو استيعاب .إننا نتطلع إلى خطاب لا يكتفي بالشرح والتفسير للنص أو العقيدة ،بل ينطلق من ذلك إلى المقصد الحياتي المعاصر يدقق فيه ويكشف خباياه ويتعامل مع دقائقه المتجددة التي هي نتاج التطور العلمي والاجتماعي "[2]

2-حوار حضاري:

إن الارتكاز على المبدأ الحضاري في الحوار الديني لهو آلية مهمة لرفع التحدي والرد على الهجمات المتكررة عليه، إذ هو من صميم الدعوة الإسلامية التي تسعى إلى تيسير ما يعترض حياة الناس من صعوبات بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية، والتكيف مع ظروف العصرنة والتطور والتفتح على العوالم كلها والتعايش معها وفق أسلوب حضاري راق يعكس تحضر الإسلام والمسلمين منذ فجر التاريخ، فالحوار الجاد والملتزم يغير الكثير من المفاهيم المغلوطة عن الآخر ويبعث الأمل في النفوس نحو عيش في مجتمع تسوده المودة والاخاء والعدل والمساواة والحرية

، إنّنا بحاجة اليوم أكثر ممّا مضى إلى خطاب ديني يعزز الشراكة في الحياة وفي الأوطان ،ويزيل أسباب الخوف والنفور من الآخر ، **"من** أهداف الحوار بين الأديان تغليب أسلوب الحوار الديني في مجالات

---

[1] - [صحيح] أخرجه الحاكم في ((المستدرك))، والمروزيُّ في ((السُّنة)) (68)، والعُقيلي في ((الضعفاء الكبير)) (250/2)، (318)، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (449/5).

قال الحاكم: احتجَّ البخاريُّ بأحاديث عِكرمة، واحتجَّ مسلمٌ بأبي أُويس، وسائرُ رُواته متَّفق عليهم. وقال المنذريُّ في ((الترغيب والترهيب)) (61/1): أصلُه في الصَّحيح. وجوَّد طريقَه ابنُ الملقِّن في ((البدر المنير)) (693/6)، وصحَّح إسنادَه ابنُ القيِّم في ((تهذيب السنن)) (279/7)، وصحَّحه ابن العربي في ((أحكام القرآن)) (250/4)، والألبانيُّ في ((صحيح الترغيب)) (40)

[2] -علي الكندري، تجديد الخطاب الديني، مجلة القبس، الاحد 14 سبتمبر 2008، العدد 12، ج 5، ص 12.

العلاقات بين الأديان .وتعد هذه نقلة فكرية نوعية في أسلوب التعامل بين الأديان تنهي قرونا من تاريخ الجدل الديني الذي ساده التعصب الديني ،وحركته أسباب الدفاع التي نظرت إلى علاقة الأديان بعضها ببعض على أنها علاقات تحد وصراع ومنافسة وهي أسباب أدت إليها عوامل تاريخية ودينية معروفة في التاريخ الماضي للأديان "[1]،وإننا في حاجة إلى حوار حضاري يقوي فينا قيمنا ويجعلنا نعتز بها حتى نتعايش مع الآخر دون استلاب ودون أن يؤثر فينا بسلبياته ،ودور الحوار الديني أن يرسخ فينا جدلية المحافظة على أصالتنا وقيمنا وحضارتنا ومعاصرة من نعيش معهم في عالمنا المعاصر والاستفادة من إيجابيات حضارتهم وتطور علومهم، دون أن نقصيهم من حياتنا بدعوى المخالفة في الديانة.

3- حوار جامع عالمي:

يحتاج الحوار الديني في عصرنا أن يتماشى مع متطلبات الإنسان في العصر الحالي بدون التنازل أو المساس بجوهر الدين وأصوله، "فيكون حوارا منفتحا على الأديان والثقافات العالمية، متواصلا معها ،لا يخشاها ،ولا يصطدم معها ،ولا يذوب فيها ،بل يرتقي إلى نقدها بدون الوقوع في فخ التحفيز على الكراهية ،وممارسة العنف المعنوي والفكري اعتمادا على تفسيرات خاصة للنصوص "[2]،يحتاج الحوار الديني إلى أن يسمو إلى منطق الحفاظ على الكرامات والحريات والعدل والمساواة .ويستطيع الحوار الديني أن يعاصر الحدث دون أن يتأثر بالمضمون ودون أن يخاف من الأفكار المستوردة ومعاصرة القضايا التي يعيشها المسلمون ويكون حاضرا في جميع المستجدات وفي الوقت ذاته يستطيع أن يخاطب الآخر الديني بلغة يستطيع الآخر أن يفهمها ويعقلها ويضع لنفسه استراتيجية لتمرير أفكاره ومواقفه للآخر ،مما يساهم في شرح الفكر الإسلامي وتوضيحه ،وتصحيح الصورة النمطية عن الإسلام وشعوبه.

المبحث الخامس: تفعيل الحوار الديني المعاصر من الأساس النظري إلى التطبيقي كر افعة للتدافع الإنساني:

لا يجادل اثنان في كون الدعوة إلى الحوار الديني ؛ تُعتبر سمة من سمات النصف الثاني من القرن العشرين، وكأنما أدرك العالم بعد اكتوائه بلَظى حروب عالمية مدمرة؛ أنَّ البشرية لا تستطيع أن تتحمل حروبًا أخرى بعد أن حصدت ويلات كثيرة أسهمت في تفاقم المشكلات الجوهرية الكبرى التي ظل يعاني منها كلٌ من الغالب والمغلوب، لذلك بادرت جهات ومؤسسات كثيرة في العالم إلى تبني الدعوة إلى حوار الأديان

[1]-محمد خليفة، الإسلام وتطوير الخطاب الديني، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط 1 ،1990م، ص 58-77.

[2]-عبد الرحيم محمد المغدوي، الحوار الديني ودزره في مواجهة التطرف الديني، دار الهلال، القاهرة ،1990م، ص 53.

والحضارات أملًا في الالتقاء على مبادئ موحدة وقواسم مشتركة بين أتباع مختلف الأديان والحضارات، لتكون كفيلة بفتح الطريق للتفاهم والتعاون والتعايش.

لقد دعت محافل ومنظمات كثيرة إلى حوار الأديان منذ الستينات من القرن المنصرم ثم انتهى الحوار إلى أوراق نشرت في كتب وأذيعت في صحف لكنها لم تثمر نتائج ملموسة حتى الآن، وإذا كانت جهات غربية كثيرة قد دأبت على الدعوة إلى حوار الأديان والحضارات وفق شروط وضوابط معينة أملتها ظروف التفوق والاستعلاء الغربي، فإن الطرف الإسلامي خاصة في عصر الصحوة الإسلامية الراهنة؛ لم يكن بعيدًا عن فكرة تنظيم مؤتمرات وملتقيات دولية، لترسيخ آليات الحوار والتقريب بين الثقافات والحضارات من طرف مؤسسات ومنظمات ثقافية إيمانًا منها بأنَّ الحوار الديني والحضاري؛ يعتبر مطلبًا إسلاميًا مُلحًا يدعو إليه القرآن الكريم وتبشر به السنة النبوية الشريفة.

بيد أن التفاعل الديني الحضاري لا يمكن أن يتم ويتحقق؛ إلا عن طريق حوار بناء وفعال بين الأديان، وقد سبق لعالم اللاهوت الألماني هانس كينغ ان قال: «لا حوار بين الحضارات بدون سلام ولا سلام بدون حوار بين الأديان»، وإذا كان القرن الواحد والعشرون هو قرن الأديان بامتياز؛ كما قال المفكر والكاتب الفرنسي أندريه مالرو، فإن الدين قد أضحى منبع الثقافات وملهمها، ومنه تتأتى معظم خصوصيات الشعوب ومقوماتها، ويرمي إلى أن لا يظلم أحد حقًا هو له بسبب تميزه الديني عن الآخرين، كما يرمي إلى تحقيق العيش المشترك في عالم يسع الجميع مهما كانوا متباينين على المستوى العقائدي والثقافي والحضاري **وذلك يتم من خلال :**

1- **إعادة فهم النص الديني**: ان إعادة قراءة وفهم النص القرآني عموما والنصوص التي تنظم العلاقة مع الآخر ، تكفل إيجاد بيئة معرفية مناسبة للحوار الديني والانفتاح على الآخر معرفيا وأخلاقيا من غير إلغاء للثوابت الدينية من جهة، وحفظ خصوصية الهوية الدينية التي ينتمي إليها أطراف الحوار الديني من جهة أخرى، ولا يتوقف الأمر عند ذلك الحد بل يتعداه إلى إعادة بناء خطاب ديني جديد يسهم في إنجاح عملية الحوار وتقبل الآخر[1]. تقول الدكتورة المصرية منى إبراهيم اللبودي: "تزداد حاجة الأفراد إلى امتلاك مهارات الحوار البناء في مواجهة التحديات التي تفرضها طبيعة الحياة المعاصرة، حيث يتعرض الفرد في كل وقت لسيل من المعلومات والأفكار والثقافات، عبر اَلقمار الصناعية وشبكات المعلومات وأجهزة العامل واَلاتصالات، وتستطرد الدكتورة منى ابراهيم الحديث عن أهمية لغة الحوار والتواصل

[1]-نور الساعدي، أثر النص القرآني في التعددية الدينية، دراسة في متطلبات الحوار الديني المعاصر، الحمرا، بيروت، لبنان، ط1، 2017 م، ص 264.

الفعال بين الأفراد والجماعات وتقول" :وتأتي أهمية استخدام أساليب الحوار البناء، إشباع حاجة الإنسان للاندماج في جماعة والتواصل مع الآخرين مع الاحتفاظ بمسافة بينه وبينهم، للحفاظ على وجوده وتفرده. فالحوار الفعال يحقق التوازن بين حاجة الإنسان للاستقلالية وحاجته للمشاركة والتفاعل مع الآخرين[1]

2-**توعية العقل الجمعي** إزاء قضية الحوار الديني وتفعيل متبنياته العقدية والفكرية، وتقبل الآخر المخالف بعقيدته والانفتاح على فكره وتبادل الحوار معه على أساس الاستدلال العقلي والأخلاقي.

3-**الحد من توظيف الدين سياسيا:** ويقصد به جعل الدين طوع الغايات السياسية وفي خدمتها لغرض تحقيق مصالح سلطوية تتلبس بلباس ديني لإضفاء المشروعية عليها من جهة، واستقطاب النفوس والتأثير فيها لإحراز عدم المعارضة لها من جهة أخرى.

4-توجيه الإعلام الديني: وتتلخص خطوات توجيه الإعلام الديني فيما يتعلق في بيان حقيقة العالقة مع الآخرين في ضوء التعاليم الدينية من خلال ما يأتي :

-تنقية الإعلام الديني الداخلي من الازدواجية التي تحكمه، إذ يكون الإعلام الديني الداخلي يتسم بالتطرف والتعصب الديني والمذهبي وفي الوقت نفسه، يكون إعلامه الخارجي داعيا للانفتاح على الآخر واحترامه، مما يفقد ذلك الإعلام مصداقيته وتأثيره في المتلقي .

-الاستماع إلى الآخر وإعطائه فرصة الحديث عن نفسه، من غير التخوف أن يكون ذلك جزء من الترويج للأفكار الخاطئة .

-قراءة الواقع الديني الذي تعيشه المجتمعات قراءة واعية، بعيدا عن أية مؤثرات قد تؤدي إلى فقدان الموضوعية في إيصال حقيقة ذلك الواقع إلى الناس، مما يؤدي إلى تكوين رؤية غير متكاملة قد يكون التعامل معها أكثر ضررا من انها لم تعرض من الأساس.

وكل ذلك يتطلب جهدا منظما وشعورا بالمسؤولية إزاء تعاليم الدين وإظهارها بالشكل الذي يليق بها من جهة، وتغيير الوعي الجمعي والتأثير في سلوكه من خلال النهوض به إلى المدنية ونبذ العنف.

[1]- منى ابراهيم اللبودي، الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1029هـ/2449م، ص: 21

إنَّ تمتين كل حوار منشود بين الإسلام والمختلف الديني؛ يقتضي إعادة طرحٍ جديد يُبنى على الوضوح ويلتزم بأخلاقيات الحوار، ويُعيد النَظَر في الأهداف والوسائل الموصلة إلى ذلك، ولن يكون هذا مجديًا في رأيي؛ إلا إذا تمَّ توسيع قاعدة هذا الحوار ليصير حوارًا ثقافيًا مدنيًا، يشمل كل المكونات والفعاليات الثقافية في المجتمعين المتحاورين.

ويبقى الأمل العريض الذي ينبغي النظر إليه بتفاؤل من طرف أتباع الحضارتين الإسلامية والغربية هو أن حتمية الحوار الديني الحضاري؛ أمرٌ واقع لا محالة طال الزمن أم قصر، لأنه في نهاية الأمر؛ لابُدَّ أن تنتصر الإرادات والعزائم الساعية إلى إدارة الحوار الديني والحضاري بين الطرفين وتفعيل العمل المشترك الذي يحركه الفهم والوعي المشتركان للمخاطر التي تحدق بالبشرية جمعاء.

خاتمة:

في الختام لا بد من القول إن وعاء القرآن الكريم هو الإطار الأنسب لاستيعاب المفاهيم والأفكار والسلوكيات التي يمكن أن تجلب المصالح وتدفع المفاسد عن الناس أجمعين

ولا يخفى أن الرؤية القرآنية تعطي للعقل المسلم قسطا مهما من القدرة على الإبداع والنقد والتصويب، كما أنها تسهم بشكل كبير في التعاطي بشكل إيجابي وجدي مع مختلف القضايا والإشكالات التي تطرح على الفكر الاسلامي المعاصر. لأجل ذلك، فإننا نعتقد أن الوعي القرآني له دوره وأهميته القصوى في إعادة تشكيل وصياغة التصورات والرؤى والأفكار بما يخدم مصالح الأمة الإسلامية في شتى مجالات الحياة. والحقيقة أن الوعي القرآني، يسهم بشكل كبير في بلورة أرضية مشتركة للحوار بين أصحاب الديانات المختلفة، خاصة ونحن نعلم أن حوار الأديان والحضارات قد أصبح أكثر إلحاحا في الوقت الحاضر، باعتباره وسيلة للتعايش السلمي والرقي الحضاري. فالحضارة هي ثمرة جهود الأفراد والشعوب ومساهمتها في تطوير أوضاع الإنسان عبر العصور. أما الحوار، فهو الأسلوب المتحضر والراقي في التعامل مع جميع الآراء الثقافية والفنية والدينية لإشاعة التعايش السلمي، وتجنب نشوء أزمات حضارية تزج بالإنسانية في نفق مظلم.

النتائج:

- إن الحوار بين الأديان مهمة إنسانية وخيار منهجي ومطلب واقعي وشرعي، بما يتضمنه من اعتراف بالآخر وبحقه في الوجود، إذ بدونه تنعدم شروط الحياة الآمنة وظروف السلم الأهلي والاجتماعي، إلا أن الإشكال الحقيقي الذي تواجهه الإنسانية اليوم لا يتمثل في اختلاف الحضارات والثقافات

والأديان، وإنما يكمن في مسألة تدبير هذا الاختلاف والتنوع بشكل عقلاني وموضوعي بعيدا عن نزعات التعصب والتطرف والهيمنة

- في ضوء نظرية الحوار في القرآن الكريم، يمكن للوعي القرآني أن يتحول إلى آلية معرفية، تلقي الضوء على القواسم المشتركة، وبهذا وحده يمكن لهذا الوعي أن يتحول إلى أرضية مناسبة ومشتركة في إحدى أهم المسائل تعقيدا وصعوبة، ألا وهي مسألة التعايش بين الأديان والحضارات
- الموضوع واسع المجالات وأن هذه الأسطر ليست إلا إحالات واستطلاعات تسعى إلى إبراز عمق دعوة الإسلام إلى التسامح والتعايش والحوار، وقابليته المتجددة لرسم أفق أرحب للتعامل بين الناس في إطار علاقات إنسانية تنبذ العنف والتطرف والأنانية.

التوصيات:

- تأسيس معاهد ومراكز البحث العلمي، للتوفيق بين الأديان والحضارات والثقافات، ونشر مجلات ودراسات مختصة.
- الاعتناء بوسائل الإعلام والتثقيف والتوعية بقيم التعايش والتسامح والعيش المشترك، والعمل على تكريسها في الخطاب الثقافي والإعلامي، حتى يتوفر المناخ المناسب، لأن تصبح هذه القيم جزءا من النسيج الثقافي والاجتماعي.
- ضرورة إشاعة وتعميق متطلبات التسامح والتعايش الديني والحضاري في واقعنا الاجتماعي والثقافي، وتجريم كل أشكال الكراهية والحقد في الدساتير والقوانين المنظمة للمجتمعات.

لائحة المصادروالمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، إعداد: يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار صادر، ودار لسان العرب، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.
2. أحمد بن عبد الرحمان الصويان، الحوار أصوله وآدابه السلوكية، دار الوطن، الرياض، ط 1 ،1413هـ.
3. أسعد السحمراني، الإسلام والآخر، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط 1، 2016م.
4. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م.
5. الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.
6. عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، دار الفكر المعاصر، دمشق: 1420هـ/ 2000م.
7. عبد الرحيم محمد المغدوي، الحوار الديني ودزره في مواجهة التطرف الديني، دار الهلال، القاهرة ،1990م.
8. عبد القادر الشيخلي، هندسة الحوار، مركز الملك عبد العزيز، الرياض، ط1، 1432هـ.
9. علي الكندري، تجديد الخطاب الديني، مجلة القبس، الاحد 14 سبتمبر 2008، العدد 12.
10. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1416هـ، 1996م.
11. مجمع اللغة العربية، المجمع الوسيط، القاهرة، ط3، دون تاريخ.
12. محمد أبو القاسم حاج محمد، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة: العالمية الإسلامية الثانية، دار الهادي للطباعة، مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد، ط1، 1425هـ /2004م.
13. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ،1427هـ-2006م.

14. محمد حسين الذهبي، الدين والتدين، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، العدد 1 ،1395هـ.
15. محمد خليفة، الإسلام وتطوير الخطاب الديني، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط 1 ،1990م.
16. محمد علوشيش الورتلاني، أحكام التعامل مع غير المسلمين والاستعانة بهم (دراسة فقهية مقارنة)، ط1، دار التنوير ،2004م.
17. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم، تحقيق: علي دحروج، تقديم ومراجعة: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1 ،1996م.
18. مريم آيت أحمد، جدلية الحوار، قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ،ط1 ،2011 م .
19. منى ابراهيم اللبودي، الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1029هـ/2449م.
20. نور الساعدي، أثر النص القرآني في التعددية الدينية، دراسة في متطلبات الحوار الديني المعاصر، الحمرا، بيروت، لبنان، ط1 ،2017 م.
21. يحيى زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة، دار التربية والتراث، رمادي للنشر، الدمام، ط1، 141هـ/1994م.

أَكَادِيمِيَّةُ اَلدِّرَاسَاتِ اَلْفِكْرِيَّةِ وَاَلتَّرْبَوِيَّة

contact@iesacademy.org

+212629-150200